﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣﴾ [النّور: 43]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الآيـاتُ الآفاقيّة دلـيـلٌ عـلى العَظَمة الإلَهيّة

لمّا ذكرتِ الآيةُ السّابقةُ بعضًا منَ الأدلّة الحسّيّة التي تشهد لقُدرة الله تعالى في هذا الكون ومدى انقياده لله تعالى؛ جاءت هذه الآيةُ بذِكْر دليلٍ آخرَ من أدلّةِ العَظَمَةِ الإلَهيّةِ التي نراها ونلمسها في كلِّ وقتٍ وحينٍ؛ فقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا﴾ الآية.

ومن المناسبة: لمّا ذَكَرَ الله تعالى انقيادَ مَن في السّماواتِ والأرضِ والطَّيرِ إليه سبحانه، وذَكَر مُلْكَه لهذا العالمِ وصيرورتَهم إليه؛ أكَّدَ ذلك بشيءٍ عجيبٍ من أفعالهِ مُشعرٍ بانتقالٍ من حالٍ إلى حالٍ، وكان عَقِبَ قوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾؛ فأعْلَم بانتقالٍ إلى المعاد، فعطفَ عليه ما يدلُّ على تَصَرُّفه في نقل الأشياء من حالٍ إلى حالٍ[1].

ومنَ المناسبة أيضًا: لمّا ذَكَرَ في الآية السّابقةِ مُلْكَه وسلطانَه وقُدرتَه في قولِه: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾؛ ذَكَرَ في هذه الآيةِ شواهدَ قدرتِه وعَظَمتِه من سَوْق السّحابِ بينَ السّماءِ والأرضِ وتسخيرِه، وضَمِّ بعضِه إلى بعضٍ، ونزولِ المطرِ منه، وإصابتِه في مكانٍ دون مكانٍ فقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا﴾ الآية[2].

(1) أبو حيّان، البحر المُحيط: 8/ 56.
(2) الماتُريديّ، تأويلات أهل السُّنّة: 7/ 580.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُزْجِي﴾: (زجى) أصلٌ يدُلُّ على الرَّمي بالشَّيءِ وتَسْييرِهِ مِنْ غير حَبْسٍ، يُقالُ: أَزْجَتِ البقرةُ ولدها، إذا ساقَتْهُ[1]، وزَجَّى الشَّيْءَ، وأزجاه: ساقَه ودفعَه[2]، والرّيحُ تُزجي السَّحابَ: تَسوقُهُ سَوْقًا رفيقًا[3]، فأمّا المُزْجَى فالشَّيءُ القليلُ، وهو مِنْ قياسِ البابِ؛ أيْ: يُدفَعُ به الوقتُ، وهذهِ بضاعةٌ مُزْجاةٌ؛ أيْ: يسيرةُ الاندفاعِ[4]، والمُراد بالإزجاءِ في الآية: دَفْعُ الشّيء برفقٍ وسهولةٍ لينساقَ[5].

2) ﴿يُؤَلِّفُ﴾: (ألف) أَصلٌ واحدٌ يَدُلُّ على انضمامِ الشَّيءِ إلى الشَّيءِ، والأشياءِ الكثيرةِ أيضًا[6]، وكلُّ شيءٍ ضَمَمتَ بَعضَه إلى بعضٍ فقد ألَّفْتَه تأليفًا[7]، وأَلَّفْتُ بَيْنَهُم تأْليفًا، إذا جَمَعْتَ بَيْنَهُم بَعْدَ تَفَرُّقٍ، وأَلَّفْتُ الشَّيْءَ تأْليفًا، إذا وصلْتَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ؛ ومِنْهُ تأْليفُ الكُتُبِ[8]، والمقصود بقوله: ﴿يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾: يصلُ بعضَه ببعضٍ، ويجمع بعضَه مع بعضٍ[9].

3) ﴿رُكَامًا﴾: (ركم) أَصلٌ واحدٌ، يدُلُّ على تَجَمُّعِ الشَّيْءِ[10]، والرَّكْمُ: جَمعُكَ شَيْئًا فوقَ شَيْءٍ؛ يَرْتَكِمُ بعضُه على بعضٍ[11]، وارتكم الشَّيءُ، وتراكم، إذا اجتمع، والرُّكْمَةُ: الطّينُ المجموع، والرُّكامُ: الرَّملُ المُتَراكِمُ، وكذلك السَّحاب المُتَراكِمُ[12]، ووزنُ (فُعالٍ) و(فُعالَةٍ) يدلُّ على معنى المفعولِ؛ فالرُّكامُ بمعنى المَركومِ، كما جاءَ في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الطّور: 44][13]؛ وعليه فالمُراد بالرُّكامِ في الآية: ما يُجمَعُ ويُضَمُّ بعضُه إلى بعضٍ.

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زجي).
(2) ابن سيدَه، المُحكَم، وابن منظور، لسان العرب: (زجو، زجا).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (زجا).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زجي).
(5) الرّاغب، المُفردات، والسّمين الحلبيّ، عُمدة الحُفّاظ: (زجي).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ألف).
(7) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (ألف).
(8) ابن سيدَه، المُحكَم، وابن منظور، لسان العرب: (ألف).
(9) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 138.
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ركم).
(11) الخليل، العين، وابن عبّاد، المُحيط في اللّغة: (ركم).
(12) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (ركم).
(13) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 261.

4) ﴿ٱلْوَدْقَ﴾ (ودق) أصلٌ يدُلُّ على إتيانٍ وأَنَسَةٍ، يُقالُ: ودَقْتُ به، إذا أَنِسْتَ به ودْقًا، والمَوْدِقُ: المَأْتَى والمكانُ الَّذي تَقِفُ فيهِ آنِسًا[1]، والوَدْقُ: ما يكون من خلال المطر كأنّه غبارٌ، وقد يُعَبّر به عن المَطَرُ كلِّه، شديدِه وهيِّنِه؛ لِأَنَّهُ يَدِقُّ؛ أيْ: يَجيءُ مِنَ السَّماءِ[2]، وحربٌ ذاتُ ودْقَيْنِ؛ أيْ: شديدةٌ تُشَبَّه بسحابةٍ ذاتِ مطرتيْن شديدتيْن، وسحابةٌ وادِقةٌ[3]، وقد ودَقَ يَدِقُ ودْقًا؛ أيْ: قَطَرَ[4]؛ وعليه فالمُراد بالوَدْقِ في الآية: المَطر.

5) ﴿خِلَٰلِهِۦ﴾: (خلَّ) أَصلٌ واحدٌ يتقاربُ فروعُه، ومرجِعُ ذلك إمّا إلى دِقَّةٍ أو فُرْجَةٍ[5]، مِنْ ذلك الخَلُّ: طريقٌ نافذٌ بين رمالٍ مُتراكمةٍ؛ سُمّي به لأنَّه يَتَخَلَّلُ؛ أيْ: ينفذ[6]، والخَلَلُ: مُنْفَرَجُ ما بين كلِّ شَيْئَيْنِ، والجميع الخِلالُ، وهي أيضًا فُرَجٌ في السَّحاب يخرج منها المطر[7]، وتخلَّلْتُ القَومَ، إذا دخلتُ بَين خُلَلِهم وخِلالهم، ومِنْه تخَلُّل الأسنان[8]، والمُراد بالخِلالِ في الآية: الفُتوقُ، جَمعُ خَلَلٍ، كجَبَلٍ وجِبالٍ[9].

6) ﴿بَرَدٍ﴾: (برد) خلافُ الحَرِّ، يُقالُ: بَرَدَ فهوَ باردٌ، وبَرَدَ الماءُ حَرارَةَ جَوْفِي يَبْرُدُها[10]، والبَرَدُ: حَبُّ الغَمامِ، تَقولُ مِنْهُ: بَرُدَتِ الأَرض، وبُرِدَ القَوْمُ: أَصابهم البَرَدُ، وأَرضٌ مَبْرودَةٌ كَذَلِكَ[11]، وسحاب بَرِدٌ وأَبْرَدُ؛ أيْ: ذو بَرَدٍ، وسَحابةٌ بَرِدَةٌ[12]؛ والبَرَدُ في الآية مُرادٌ به: المطرُ الجامِدُ.

7) ﴿فَيُصِيبُ﴾ أَصلُ الإصابة في الرَّمية، ثمَّ اختُصَّت بالنّائبة الفادحة، وتُستعمل في الخير والشَّرِّ؛ قال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟﴾ [التّوبة: 50]، وقال بعضُهم: الإصابة في الخير اعتبارًا بالصَّواب وهو المطر، وفي الشَّر اعتبارًا بإصابة

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ودق).
(2) الخليل، العين، وابن عبّاد، المُحيط في اللّغة: (ودق).
(3) الخليل، العين: (ودق).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (ودق).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خل).
(6) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللّغة، وابن عبّاد، المُحيط في اللّغة: (خل، خلل).
(7) ابن عبّاد، المُحيط في اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (خلل).
(8) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (خلل).
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 261.
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (برد).
(11) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (برد).
(12) الجوهريّ، الصّحاح: (برد).

السَّهم، وكلاهما يرجعان إلى أصلٍ واحد[1]، ومعنى الإصابة: اتِّصالُ شَيءٍ بآخَرَ ووُرودُهُ عليه، وهي مُشْتَقَّةٌ مِنَ الصَّوْبِ وهوَ النُّزولُ، ومِنْهُ صَوْبُ المَطَرِ، فجَعَلَ نُزولَ البَرَدِ إصابةً؛ لأنَّهُ يُفْسِدُ الزَّرْعَ والثَّمَرَةَ[2].

8) ﴿سَنَا﴾: (سنى) أَصلٌ يدلُّ على العُلوِّ والارْتِفاعِ[3]، والسَّنا - مقصورٌ - حَدُّ مُنْتَهى ضوْءِ البرْقِ، وقَدْ أَسْنَى البَرْقُ: إذا دَخلَ سَناهُ عليكَ بيتَك، أَو وقَع على الأَرض، أَو طارَ في السَّحاب، قالَ أَبو زَيْدٍ: سَنا البرْقِ ضَوْءُه مِنْ غَيْرِ أَن ترَى البرْقَ أَو تَرَى مَخرَجَه في موْضِعه، فإنَّما يَكونُ السَّنا باللَّيْلِ دونَ النَّهارِ، ورُبَّما كانَ في غَيْرِ سَحابٍ[4]، وقال ابْنُ السِّكّيت: السَّناءُ مِنَ المَجْدِ والشَّرَفِ، مَمدودٌ، والسَّنا: سَنا البرقِ، وهوَ ضوْءُه، يُكْتَبُ بالأَلف، ويُثَنَّى سَنَوان، ولَم يَعرفِ الأَصمعي لَهُ فِعْلًا، والسَّنا، بِالقَصْرِ: الضَّوْءُ[5]، والمُراد بالسّنا في الآية: الضَّوء السّاطع[6].

9) ﴿بَرْقِهِۦ﴾: أصلُ (برق) أصلٌ يدلُّ على لَمَعانِ الشَّيْءِ، والبَرْقُ: وميضُ السَّحابِ، يُقالُ: بَرَقَ السَّحابُ بَرْقًا وبَريقًا، وأَبْرَقَ أَيْضًا لُغَةٌ[7]، إذا لَمَعَ[8]، ويُقال: مَرَّتْ بِنا اللَّيْلَةَ بَرّاقةٌ وبارِقةٌ؛ أيْ: سَحابَةٌ ذاتُ بَرْقٍ[9]، وسُمّيتِ السّيوفُ بارقةً وبوارقَ تَشْبيهًا بالبَرْقِ، وكلُّ شيءٍ يتلألأُ فهو بارقٌ[10]، والمُرادُ بالبَرْق في الآيةِ: ما يَراه الرّائي من نورٍ لامعٍ يَظهر من خلالِ السَّحاب[11].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يبيّن اللّهُ تعالى في هذه الآيةِ الكريمة بعضَ مظاهرِ قدرتِه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ

(1) مجاهد، تفسير مجاهد، ص: 407، وابن جرير، جامع البيان: 16/ 458، والرّاغب، المُفردات: (صوب)، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/ 43.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 307، 18/ 262.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سنى).
(4) المرزوقيّ، الأزمنة والأمكنة، ص: 338.
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (سنا)، وابن الهائم، التّبيان في تفسير غريب القرآن، ص: 246.
(6) الرّاغب، المُفردات: (سنا).
(7) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (برق).
(8) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (برق).
(9) ابن سيدَه، المُحكم: (برق).
(10) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (برق).
(11) طنطاويّ، التّفسير البسيط: 7/ 455.

تعديدُ الدّلائلِ على ربوبيّتِهِ تعالى

يَسوقُ بقُدرته السَّحابَ إلى حيثُ يشاءُ، ثمَّ يجمَعُه بعدَ تفرُّقِه، ثمَّ يجعَلُه مُتراكمًا بعضُه فوقَ بَعضٍ، فترى المطَرَ يخرُجُ مِن بينِ السَّحابِ الكثيفِ، ويُنَزِّلُ سبحانه مِن السَّماء بَرَدًا مِن قِطَعِ سَحابٍ عَظيمةٍ كأمثالِ الجِبالِ، فيُصيبُ به مَن يَشاءُ مِن عبادِه؛ عقوبةً لهم، فيَضُرُّهم في أنفُسِهم وأموالِهم، ويُتلِفُ ثمارَهم وزُروعَهم، ويَصرِفُه عَمَّن يشاءُ مِن عبادِه؛ رَحمةً بهم، فلا يُصيبُهم ضَرَرُه، ويُقارِبُ ضَوءُ بَرقِ السَّحابِ أن يُعمِيَ عُيونَ النّاظِرينَ إليه مِن شِدَّةِ ضَوئِه ولَمعانِه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نُكْتَةُ فصْلِ الآيةِ عن سابقتِها:

الانتقالُ إلى الاستدلالِ على عِظَمِ قُدرةِ اللهِ وسُموِّ حِكْمَتِه

فُصِل قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ عمّا سبق؛ لما فيه من حُسْن التَخَلُّص؛ حيثُ أعقب الدّلالة على إعطاء الهُدى في قوانينِ الإلهامِ في العجماواتِ بالدّلالة على خَلْقِ الخصائصِ في الجمادِ، بحيث تسير على السَّير الذي قَدّره اللّهُ لها سيرًا لا يَتَغَيَّر؛ فهي بذلك أهدى من فريقِ الكافرين الذين لهم عقولٌ وحواسٌّ لا يهتدون بها إلى معرفة الله تعالى، والنَّظرِ في أدلّتها، وهذا استدلالٌ آخرُ بنظام بعضِ حوادث الجَوِّ الواردة في قوله: ﴿يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾، وقد حصل من هذا حُسْنُ التَّخلّص؛ للانتقال إلى الاستدلال على عِظَمِ القُدرة وسُموِّ الحِكْمَة، وسَعَةِ العِلْمِ الإلهيِّ[2].

بلاغةُ الاستفهامِ في قولِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾:

التَّنبيهُ على آياتِ اللهِ، والحَثُّ على رؤيتِها للتَّقريرِ بها

قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهامٌ تقريريّ، والتَّقرير المُستعمَل فيه الاستفهامُ من حيثُ إنَّه تقريرٌ له معانٍ تردُف عليه؛ من أبرزها:

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 338، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 290، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 73، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 571.

(2) أبو حيّان، البحر المُحيط: 8/ 56، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 260.

التَّذكيرُ والاعتبار بآثار رحمة الله وقُدرته الفائقة؛ فالمقصودُ منَ الاستفهام التّنبيهُ إلى آياتِ الله التّاليةِ للاستفهامِ المذكورِ، والحَثُّ على رؤيتِها أَو التّقريرِ بها[1].

سِرّ تكرارِ الاستفهامِ بقولِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾:

استقلالُ كلِّ دليلٍ عنِ الآخر في دلالتِهِ على عِظَمِ قدرةِ اللهِ تعالى وسَعَةِ عِلْمِهِ

كَرّرَ القرآنُ الكريم الاستفهامَ بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى﴾ مع سبق ذِكْرها في الآية السّابقة في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ﴾ الآية، ولم يكتف بورودها قبل ذلك؛ للدّلالة على استقلالِ كلِّ دليلٍ عنِ الآخر في دلالته على عِظَم قدرته سبحانه وسَعَة عِلْمه؛ فكأنّ هذا الاستفهامَ من بابِ التّأكيدِ على وحدانيّته ﷻ بما سبق من الأدلّةِ الواردةِ في تسبيحِ مَنْ في السّماواتِ والأرضِ.

دلالةُ الخطابِ في قولِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾:

الخطابُ للنَّبيِّ ابتداءً، ولأُمَّتِه مِن بعدِهِ

الخطابُ في قولِهِ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى﴾ إمّا لرسول الله ﷺ، وخطابُه خطابٌ لأُمَّته؛ لأنَّه إمامُها، وإمّا لِكُلِّ مَنْ هو أَهلٌ للخِطاب منَ المُكلَّفين[2]، وهذا المعنى مقصودٌ من خلالِ عدمِ تحديدِ المُخاطَبِ، حتّى يعلمَ كلّ مَنْ هو أهل للخِطاب بآيات الله الكونيّةِ والعِلْميّةِ التي تدلُّ على وحدانيّته سبحانه.

سِرُّ التَّعبيرِ بالرُّؤيةِ عنِ العِلْمِ في قولِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾:

تنزيلُ المعلومِ منزلةَ المُشاهَدِ للعيانِ في الوَثاقةِ والإيقانِ

آثَرَ القرآنُ الكريمُ التّعبيرَ بالرّؤيةِ عنِ العِلْمِ في قولِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾؛ لأنّ ما ذُكِر في هذه الآيةِ من أدلَّةٍ كونيّةٍ لا يتحقَّق المُرادُ منها بالرّؤيةِ البصريّةِ؛ حيثُ لم يَرَوا بالحسِّ أنّ اللّه يُزجي سحابًا؛ أيْ: يُثيرُها من بخار الماء، فيتكونُ من هذا البخار سحابٌ، فيدفعُه اللّهُ تعالى ويسوقُه في تجمُّعِه حتّى يصيرَ ركامًا،

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 409، وابن عُثَيْمين، تفسير سورة النّور، ص: 293.
(2) الهرريّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 19/ 377، ونخبة من العلماء، التَّفسير الوسيط، ص: 1440، ويُنظر تحرير نظير هذا الأسلوب في الآية السّابقة.

وكلّ ذلك لا يتأتّى عن طريق الرُّؤية البصريّة؛ بل عن طريق العِلْم[1]، وممّا يُؤكّد أنّها ليست بصريّةً أنَّ الأعمى لا يدري عن شيءٍ، ومعناه أنَّه لم يَعتبر بهذا السَّحابِ لأنَّه لا يراه، فالأَوْلَى أنَّها عِلميَّة؛ لأنَّ العِلميَّة تتضمَّن البصريَّة، فالرُّؤية في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بمعنى العِلْم، وتفسيرُها بالعِلْم أعمُّ من تفسيرها بالرُّؤية البصريَّة؛ لأجل أن يشمل رؤيةَ الإنسانِ ببصره؛ أيْ: عن طريق المُشاهدة؛ لأنَّها تؤدّي إلى العِلْم، ورؤيةَ الإنسانِ بسَمعِه بما يُخْبَر به؛ لأنَّها تُؤدّي أيضًا إلى العِلْم، ورؤيةَ الإنسانِ بقراءته عن هذا الأمر؛ لأنَّه يُؤدّي إلى العِلْم، والمُهِمُّ أنَّه ما دامتِ الرُّؤيَّةُ مُحتمِلة لأن تكون بمعنى العِلْم، فتفسيرُها بالعِلْم أَوْلَى؛ لأنَّه أشملُ وأعمُّ منَ السَّماع[2]، وذَكَرَ بعضُ المُفسِّرين أنَّ الرُّؤية هُنا يجوز أن تكون بصريَّةً؛ لأَنَّ تحريك السُّحبِ وما يتلوه من آثارٍ أَمرٌ مرئيٌّ لكلِّ ذي عَيْنَيْن.

ويمكن أن يُجْمَعَ بينَ البصريّة والعِلْميّة بأن يُقال: إذا كان الخِطابُ لرسول الله ﷺ، فعِلْمُه بذلك يكون عن طريق الوحي الذي نزل عليه، وما يراهُ من صورةِ السُّحب المتراكمةِ يكون عن طريق البصر، وبذلك يُجْمَع بينَ أكثر وسائل الإدراك؛ وهما: العِلْم بالخبرِ، وبالعينِ الباصرةِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿يُزْجِي﴾ مادَّةً:

الإشـــارةُ إلى أنَّ الـسَّـحـابَ بـالـنّـسـبـةِ إلى قدرتِهِ تعالى أمرٌ سهلٌ

آثَرَ القرآن الكريم التّعبيرَ بالإزجاء في قوله تعالى: ﴿يُزْجِي سَحَابًا﴾ لما يتميّز به من معنًى لا يوجد في غيره كالدّفع مثلًا؛ فالإزجاءُ: سَوْقُ الشَّيءِ قليلًا قليلًا برفقٍ وسُهولة لينساقَ، وغلبَ في سَوْق شيءٍ يسير أو غير مُعتَدٍّ به، ومنه البضاعةُ المُزجاةُ، فإنَّها

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5204.

(2) ابن عادل، اللُّباب في علوم الكتاب: 14/ 414، وابن عُثيْمين، تفسير سورة النّور، ص: 293، ويُنظر تحرير نظير هذا الأسلوب في الآية السّابقة.

يُزجيها كُلُّ أحدٍ ويدفعُها لِقلَّة الاعتداد بها؛ ففي التَّعبير بـ ﴿يُزۡجِي﴾ إيماءٌ إلى أنَّ السَّحاب بالنِّسبة إلى قدرته تعالى شيءٌ هيِّنٌ بالنِّسبة إلى ما هو أكبر منه بقُدرة الله ﷻ[1].

إيثارُ التَّعبيرِ بالمُضارعِ: ﴿يُزۡجِي﴾:

إيثارُ المُضارعِ ﴿يُزۡجِي﴾ في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي﴾؛ للدّلالة على التَّجدُّد والاستمرار في حُدوث الظّاهرة حالًا واستقبالًا؛ لأنَّها سُنّة الله في الحياة، وفيه إشارةٌ إلى تصوير سَوْق السّحاب، وكأنّ بعضَه يتداخل في بعضٍ من غير عنفٍ ولا انفصالٍ.

الدّلالةُ على التَّجدُّدِ والاستمرارِ في حُدوثِ الظّاهرةِ حالًا واستقبالًا

دلالةُ إسنادِ الإزجاءِ إلى الله تعالى:

أسنَدَ القرآنُ الكريم إزجاءَ السّحاب إلى الله تعالى في قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابًا﴾؛ لأنّه سبحانه الفاعلُ على الحقيقة، وإن كان الإزجاء في الظّاهر يتمّ من خلال السُّنن الكونيّة المشهودة من حَمل السّحاب عن طريق الرّياح، وهذا المعنى عبّرت عنه آياتٌ كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ [فاطر: 9]؛ لكن لمّا كان الخالقُ والآمر للكلّ هو الله؛ قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: 54].

الفاعلُ على الحقيقة هو الله ﷻ

دلالةُ الإفرادِ في قوله: ﴿سَحَابًا﴾:

جاء التّعبير القرآنيُّ بصورةِ الإفرادِ بلفظِ ﴿سَحَابًا﴾؛ لأنّه واحدٌ في اللّفظِ ومعناه الجمعُ؛ فهو اسمُ جنسٍ جمعيّ، ولذلك يوصَف بالمُفرد مراعاةً لِلّفظ، كما يوصَف بالجمع مراعاةً للمعنى، ويُعامَل الفعل معه تبعًا لمعناه[2].

السّحابُ واحدٌ في اللّفظِ ومعناه الجمعُ

نُكْتَةُ تنكيرِ ﴿سَحَابًا﴾:

﴿سَحَابًا﴾ اسم جنسٍ جمعيّ واحدُه (سحابة)، وجاء تنكير

(1) إسماعيل حقّي، روح البيان: 6/ 165.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 18/ 190.

﴿سَحَابًا﴾ لإفادة الكثرة والتَّعظيم؛ أيْ: قِطَعًا مُتفرّقًا مُتناثرًا في كُلِّ الجِهات[1].

دلالة التّعبير بـ ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾:

إفادةُ التَّراخي في تَجمُّع السَّحاب بعد تَفَرُّقه

آثَرَ القرآنُ الكريمُ التّعبيرَ بـ ﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ دونَ غيرِها من حروف العطف؛ لأنّها للتَّراخي، فإنَّ التَّأليف مُتأخِّر عنِ ابتداء السَّوق؛ لأنَّ بَيْنَ تصاعد الأبخرة المائيَّة في الأفق، وبين تكوين السَّحاب منها فتراتٍ منَ الزَّمن؛ فهي تستغرق فترةً زمنيَّةً حَتَّى تَتِمَّ[2]، وفي هذا دليلٌ على أنّ ذلك لا يكون عقبَ تكوينِ السّحاب مباشرةً، إنّما يكون بعد زمنٍ؛ أيْ: يجمع بين قِطَع السّحاب المُتفرّقة بعضِها إلى بعض، فيجعله شيئًا واحدًا بعد أن كان قِطَعًا[3].

دلالةُ التَّعبير بـ﴿يُؤَلِّفُ﴾ مادّةً وصيغةً:

الدّلالةُ على التَّقويةِ والاتّصالِ والتَّكثيفِ

آثَرَ القرآنُ الكريمُ التّعبيرَ بالتَّأليف في قوله: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾؛ لأنّ معناه الضَّمُّ والجمع مع مُراعاة الأُلفة والتّناسب؛ فإنَّ الله ﷻ يُؤلِّف بَيْنَ هذا السّحاب؛ أيْ: يضمّ بعضَه إلى بعضٍ فيجعلُ القِطَعَ المُتفرّقة قطعةً واحدةً كبيرةً[4]، وفي التَّعبير بالتَّأليف في هذه الآيةِ دلالةٌ زائدةٌ على مُجرَّد الجمع، فهو يجمعُه عند انتشائِه ليقوى ويتَّصل ويَكْثُف[5]، وفيه إشارةٌ إلى وجوده مُتقدِّمًا مُتفرِّقًا؛ لأنّ التّأليف لا يكون إلّا بين موجودَيْن، فيُضَمّ بعضُه إلى بعضٍ، وهذا المعنى يظهر من صيغة المضارع الذي يدلُّ على التّجدُّد والحدوث، واستحضار صورة التّأليف لأجزاء السّحاب، وكأنّك تراها وهي ينضَمُّ كلُّ جُزءٍ منها إلى الآخر.

(1) ملا حويش، بيان المعاني: 3/ 143، والسَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 675.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 409، وزغلول النَّجّار، تفسير الآيات الكونيَّة، ص: 304.
(3) الثَّعلبيّ، الكشف والبيان: 7/ 112، وحقّي، روح البيان: 6/ 165.
(4) المحلّي والسيوطيّ، تفسير الجلالَيْن، ص: 358.
(5) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 287.

دلالةُ دخولِ الظَّرفيّةِ ﴿بَيْنَهُۥ﴾ على مُفردِ ﴿سَحَابًا﴾:

إرادةُ الجنسِ في السَّحابِ، أو إرادةُ أجزائِه

دلَّ دخولُ الظّرفيّة ﴿بَيْنَهُۥ﴾ على مُفرد ﴿سَحَابًا﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ مع أنّها لا تدخل إلّا على المُثنَّى فما فوقَه؛ لأنَّه إمّا أن يُرادَ بالسَّحابِ الجِنسُ؛ فعاد الضَّميرُ عليه على حُكمِه، وإمّا أن يُرادَ حَذفُ مُضافٍ؛ أيْ: بيْن قِطَعِه؛ فإنَّ كلَّ قِطعةٍ سَحابةٌ[1]؛ لأنَّ السَّحاب ذو أجزاءٍ؛ أيْ: يُؤلِّف بينَ السَّحابات منه[2]، وممّا يُذْكَر في سِرّ دخولِها: أنّ بينَ السّحاب فُروجًا؛ فالمعنى الجمعيُّ موجودٌ كما تقول: (جلستُ بين الشّجرِ)، والمقصود هنا الجمع.

دلالة التّعبير بـ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ﴾:

إفـادةُ التَّراخي في عمليَّةِ تَجَمُّعِ السُّحبِ

العطف بـ ﴿ثُمَّ﴾ مَرّةً أُخرى يُفيد التَّرتيبَ مع التَّراخي؛ للإعلام بمرحلةٍ ثالثةٍ من مراحل تكوين السَّحاب، وحملِها لكُتَلٍ هائلةٍ منَ الماءِ تحْجُبُ ضوءَ الشَّمسِ ونورَ القمرِ، وتُلَطِّف الهواءَ للحيلولةِ بينَه وبينَ حرارةِ الشَّمسِ، وهذه المرحلةُ تستغرقُ فترةً زمنيَّةً أيضًا[3]، حتَّى يصيرَ السَّحابُ المُؤلَّف مُتراكبًا بعضُه على بعض، بعد أن كان مُتفرِّقَ الأجزاء[4]؛ لأنّ السّحابَ يَمُرّ بمراحلَ في تكوينه؛ فيولّد أوّلًا دخانًا، ثمّ يدفعه الرّيح في خِفّة ويُسرٍ، ثمّ يجتمع هذا السّحابُ بعضُه إلى بعضٍ.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿رُكَامًا﴾ مادَّةً وصيغةً:

الإشـــارةُ إلى حـمـلِـهـا المـاءَ الـكـثـيرَ الـذي يـكـونُ بـه المطرُ الغزيرُ

دلَّ التّعبيرُ بقوله: ﴿رُكَامًا﴾ وهو مصدر منَ الفعل رَكَمَ يَرْكُم على الجمع والضَّمّ، فالرُّكام بمعنى المَركوم؛ أيْ: متراكم، يركب بعضُه بعضًا؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الطّور: 44][5]، وحاصلُ ذلك التّعبير ﴿رُكَامًا﴾ أنّه تتّصل

(1) السَّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 8/ 419.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 261.
(3) زغلول النّجار، تفسير الآيات الكونيّة في القرآن الكريم، ص: 305.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/ 272.
(5) القُرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 287.

سحابةٌ بطرف سحابة، ثمّ تعلوها ويُؤتى بأُخرى تتّصل بها، وبأُخرى تتّصل بهذه وتعلوها وهكذا حتّى تكونَ كالجبال، وإذا أَرْكَمتِ السُّحبُ وتكاثفت سُمّيت بـ (السَّحاب الثِّقال)، وهذا يدلُّ على حَملها الماءَ الكثيرَ، ومن هذه السُّحُب يكون المطرُ الغزير[1].

دلالةُ التّعبيرِ بالجَعْلِ في قولِهِ: ﴿يَجْعَلُهُۥ﴾:

الجَعْلُ يدلُّ على التّصييرِ والتّحويلِ

دلَّ التّعبيرُ بقوله: ﴿يَجْعَلُهُۥ﴾ دون غيرِهِ على التّصييرِ والتّحويلِ لأمرِ السّحابِ المُتراكِمِ، وهذا الأمرُ يكون من تكاثفِ البُخارِ الصّاعدِ إن كان قليلًا، وكان في الهواء منَ الحرارة ما يُحَلّل ذلك البخار؛ فحينَئِذٍ يَنْحَلّ وينقلب هواءً، وأمّا إن كان البخارُ كثيرًا، ولم يكن في الهواء ما يُحَلّل ذلك البخارَ، فتلك الأبخرةُ المتصاعدة إمّا أن تبلغ في صعودها إلى الطبقة الباردة منَ الهواء أو لا تبلغ؛ فإن بلغتْ فإمّا أن يكون البَرْدُ هناك قويًّا أو لا يكون؛ فإن لم يكن قويًّا تكاثف ذلك البُخارُ بذلك القَدْر منَ البرد، وعند ذلك يحدث المَطرُ، وأمّا إن كان قويًّا فلا يخلو الأمرُ من حالتيْن؛ إمّا أن يصل البَرْدُ إلى الأجزاء البخاريّة قبلَ اجتماعها وانحلالها حباتٍ كبارًا أو بعدَ صيرورتها كذلك؛ فعلى الوجه الأوّل تنزل ثلجًا، وعلى الثّاني تنزل بَرَدًا، وكلّ ذلك دلّ عليه التّعبيرُ بالجَعْلِ الذي يدلُّ على التّصييرِ والتّحويلِ[2].

نُكْتَةُ تنكير ﴿رُكَامًا﴾:

الدّلالةُ على عَظَمةِ تلك السُّحبِ المُجتمعةِ

دلَّ التّنكير في ﴿رُكَامًا﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ على عَظَمةِ تلك السُّحبِ المُجتمعةِ، فهي في غايةِ العَظَمةِ؛ مُتراكبًا بعضُه على بعضٍ، بعد أن كان في غايةِ الرِّقة[3].

دلالةُ العطفِ بالفاءِ في قولِهِ: ﴿فَتَرَى﴾:

جاء التّعبيرُ بالفاءِ في قولِهِ: ﴿فَتَرَى﴾ لعطفِ مرحلةٍ على مرحلةٍ

(1) أطفيّش، تيسير التَّفسير: 10/ 129، وعبد الملك قاسم، عقد الجُمان في تفسير القرآن، ص: 749.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 12/ 261.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 13/ 292.

مع إفادةِ التّرتيبِ مع التَّعقيبِ بدلالةِ الواقعِ؛ لأنّ التّراكمَ سببٌ للمطرِ، فيكون أيضًا سببًا لرؤيتِه؛ لذلك جاء العطفُ بحرف الفاءِ الذي يدلُّ على التَّرتيبِ مع التَّعقيبِ؛ لأنَّ نزولَ المطرِ بإذن الله تعالى يتمُّ بعد إتمام عمليَّة الرَّكم مُباشرةً، وأنَّ هذا الماءَ ينزل من خلالِ وسطِ قاعدةِ السَّحابةِ الرُّكاميّةِ أوَّلًا؛ وهي منطقةُ ضَعْفٍ تنتجُ عن توقُّف اندفاعِ تياراتِ الهواءِ الصّاعدِ أو ضعْفِها، وغلبةِ تيّار الهواءِ الهابط عليها، ثُمَّ بعدَ ذلك ينزلُ من جوانب قاعدةِ السَّحابةِ أو منها كُلِّها[1]، ففي العطفِ مُبالغةٌ في سُرعةِ الخروجِ باتِّصالِه بحصولِ التَّركيمِ[2].

المُبالغةُ في سُرعةِ الخروجِ باتِّصالِهِ بحصولِ التَّركيمِ

سِرُّ التّعبيرِ بالرّؤيةِ:

آثَرَ القرآنُ الكريم التّعبير بالرّؤية في قوله: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾؛ لِلَفْتِ الانتباه إلى مولّد المطرِ منَ السّحاب في تراكمه؛ وذلك لما فيه من إيقاظ النّفوس الغافلةِ ولفْتِها إلى عَظَمة الخالق سبحانه عندما ترى منظرَ السّحابِ في تراكمِهِ، ثمّ نزولِه مطرًا أو ثلجًا أو بَرَدًا.

إيقاظُ النّفوسِ الغافلةِ ولفْتُها إلى عَظَمةِ الخالقِ سبحانه

دلالةُ التَّعبيرِ بفعلِ الرُّؤيةِ مُضارعًا:

الرّؤيةُ في قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ بصريَّةٌ، والتّعبيرُ بالفعلِ المضارعِ لإفادةِ التَّجدُّدِ والاستمرارِ لهذه الظّاهرةِ التي بها قِوام الحياةِ؛ فمعنى قوله: ﴿فَتَرَى﴾ أيْ: في تلك الحالة المُستمرّة[3]، وهذا المشهد تكون رؤيتُه واضحةً في الصّحراءِ، وكأنّي بالآيةِ تُخاطِب الذين يعبدون الأصنامَ، كيف تعبدونها وهي لا تملكُ من أمرِ المطرِ شيئًا، فضلًا عن إيجاده؟!

إفادةُ التّجدُّدِ والاستمرارِ في رؤيةِ هذه الظّاهرةِ التي بها قِوامُ الحياةِ

سِرُّ التّعبيرِ بـ﴿ٱلْوَدْقَ﴾ عنِ المطرِ:

آثَرَ القرآنُ الكريمُ التّعبيرَ بالوَدْق عنِ المطر في قوله: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾؛ لأنّه أعمّ منَ المطرِ؛ فيُطلق على المَطر الضّعيفِ الخفيفِ؛

بيانُ أثرِ الماءِ النّازلِ على الأرضِ

(1) زغلول النَّجار، تفسير الآيات الكونيَّة في القرآن الكريم، ص: 305.
(2) أطفيِّش، تيسير التّفسير: 10/ 129.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 13/ 292.

فهو لا ينهمر انهمارًا، ولا يكون وابلًا؛ لأنّ الوابلَ تنحلُّ فيه السّحابُ وتنهمر، أمّا المطرُ فيُطلَق على المطرِ الشّديدِ الذي يكون في الغالبِ مصاحبًا لبريقِ البرقِ[1]، وممّا يُذْكر في سِرّ تسمية المطرِ ودْقًا: أنّه سُمّيَ بذلك لأنَّه يَنزل مُتساقطًا في قطراتٍ، فيَدِقُّ الأرضَ؛ أيْ: يترك فيها آثارًا[2]، ففي هذا التَّعبير بيانٌ لما يَترتَّبُ على هذا السَّوقِ الرَّفيقِ، والتَّجمّعُ الدَّقيقُ من آثارٍ[3].

فائدةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ: ﴿فَتَرَى﴾ و﴿يَخۡرُجُ﴾:

إفادةُ تجدُّدِ الرُّؤيةِ بتجدُّدِ تساقطِ المطرِ ونزولِهِ

عبَّر النَّظمُ الكريمُ عن رؤية خروجِ المطرِ منَ السَّحاب بالمُضارع؛ نظرًا لتَجدُّد هذه المَشاهِد واستمرارِ حدوثها على مَرِّ الأزمانِ والفصولِ، فدَورةُ الحياةِ وقِوامُها على الماء النّازل الذي جعلَ اللّهُ به كُلَّ شيءٍ حَيٍّ.

دلالةُ حرفِ الجَرِّ ﴿مِنۡ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿مِنۡ خِلَٰلِهِۦ﴾:

الإلفاتُ إلى مولدِ المطرِ من هذا السَّحاب، وتحلُّبه من خلاله

﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنۡ خِلَٰلِهِۦ﴾ لابتداء الغاية[4]، وفي التَّعبير بها إلفاتٌ إلى مولدِ المطرِ من هذا السَّحاب، وتحلُّبه من خلاله، كما يتحلَّب اللَّبنُ منَ الضَّرع، وليس يُدرك سِرَّ هذه اللَّفتةِ إلى قطرات الماء وهي تتساقط منَ السَّحاب، إلّا مَن عاش في الصَّحراء، وشَهِدَ آثارَ الماء حين ينزل إلى الأرض، ويبعث الحياةَ والحركةَ في جمادها ونباتها وحيوانها[5].

دلالةُ الواوِ في قولِهِ: ﴿وَيُنَزِّلُ﴾:

الواو في قولِه: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ عاطفةٌ للفعل ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ على ﴿يُزۡجِي﴾؛ وذلك لاشتراكِهما في بيانِ الأدلةِ؛ فقولُه: ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ إشارةٌ إلى دليلٍ آخَر من دلائلِ قدرةِ اللّهِ وعَظَمتِه[6].

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5205.
(2) الخطيب، التَّفسير القرآنيّ للقرآن: 9/ 1299.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 137.
(4) المظهريّ، التَّفسير المظهريّ: 6/ 545.
(5) الخطيب، التَّفسير القرآنيّ للقرآن: 9/ 1299.
(6) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 411.

بلاغةُ توجيهِ القراءاتِ القرآنيّةِ المُتواترة:

قراءةُ التَّضعيفِ تُفيد المُبالغةَ والتَّكثيرَ في التَّنزيلِ

تعدَّدتِ القراءاتُ في قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بينَ التّخفيفِ والتّشديدِ؛ فقرأ ابنُ كثير وأبو عمرو ويعقوبُ ﴿وَيُنزِلُ﴾ بسكون النّون مِن (أنزل)، وقرأ الباقون بفتحها وتشديد الزّاي من نَزّلَ على وزن (فَعَّلَ) المُضَعَّف، وقراءةُ التَّضعيف ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ تدلُّ على المُبالغةِ والتَّكثيرِ في التَّنزيل[1]، أمّا قراءة ﴿وَيُنزِلُ﴾ بالتّخفيف فتَدُلُّ على بَدْء الإنزال، وبذلك تتكامل القراءتانِ في تصوير بَدءِ حالةِ الإنزالِ وكثرتِهِ وشِدَّتِه.

معنى ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾:

﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لابتداء الغاية؛ أيْ: من جهتها مُبتَدِئًا[2].

معنى ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن جِبَالٍ﴾:

بيانٌ لعِظَمِ السَّحاب

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِن جِبَالٍ﴾ للتَّبعيض؛ لأنَّ ما يُنَزِّلُه اللّه بعضُ تلك الجبال التي في السَّماء[3]، والمُراد بالجبال سحابٌ أمثالُ الجبال[4]؛ فالأشياءُ تُشَبَّهُ بالجبال وتُنسَب إليها؛ إمّا للكثرة، وإمّا للشِّدَّة والغِلَظ والعِظَم، كقوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النّمل: 88]، وفي هذا بيانٌ لعِظَم السَّحاب[5].

نُكْتَةُ تنكيرِ ﴿جِبَالٍ﴾:

قولُه تعالى: ﴿مِن جِبَالٍ﴾؛ يعني: قطعًا عِظامًا تُشَبَّه بالجبال في عِظَمها وضَخامتها وجُمودها، كائنةً تلك الجبالُ مِن بَرَدٍ[6]، فالتَّنكيرُ للتَّعظيم.

---

(1) ابن الجزري، النشر: 2/218، وابن عطيَّة، المُحرّر الوجيز: 4/ 189، والهرريّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 19/ 377.

(2) ابن الأنباريّ، البيان في غريب إعراب القرآن: 2/ 197.

(3) الخازن، لباب التّأويل: 3/ 300.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 261.

(5) الماتُريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 7/ 580.

(6) المَظهريّ، التّفسير المَظهريّ: 6/ 545.

بلاغةُ التّشبيهِ في ﴿جِبَالٍ﴾:

تشبيهُ السّحابِ بالجبالِ تشبيهٌ بليغٌ

التَّشبيه في قوله تعالى: ﴿مِن جِبَالٍ﴾ تشبيهٌ بليغ؛ فهي قِطَعٌ عِظامٌ تُشْبِه الجبالَ في العِظَم والضَّخامة، والمُراد بالجبال قِطَعُ السحاب[1]، وإطلاقُ الجبالِ في تشبيه الكثرةِ معروفٌ، يُقال: فلانٌ جَبَلُ عِلْم، وطَوْدُ عِلْم[2]، وممّا يُؤكّد ذلك ما ذكره أبو زهرة بقوله: "وقد شُبِّه السّحابُ المُتراكمُ الذي يعلو طبقةً فوقَ طبقةٍ بالجبال؛ لكمال تماسكِها وتراكُمِها وعُلوِّها حتّى صارت كالجبال في منظرها، ومَن رَكِبَ الطّائراتِ في أيّامنا هذه ونظر إلى السّحاب حَسِبَه جبلًا أو جبالًا، وفي هذا دليلٌ على إعجاز القرآن، وأنّه ليس من كلام البشر؛ لأنّ رسول اللّه ﷺ لم يركب طائرةً تَمُرّ فوقَ السّحاب[3].

فائدةُ الظّرفيّةِ في قولِهِ: ﴿فِيهَا﴾:

بيانُ خَلْقِ هذه الجبالِ في السَّماءِ واستقرارِها فيها

﴿فِيهَا﴾ في قوله: ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا﴾ صفةٌ لـ ﴿جِبَالٍ﴾، كأنَّه قال: ويُنَزِّل منَ السَّماء من جبالٍ مُستقرَّة في السَّماء، مخلوقةٍ من بَرَد[4]، فإنَّ اللّه يخلق في السَّماء جبالَ بَرَدٍ، كما خَلَق في الأرض جبالَ حَجَرٍ[5].

دلالةُ التّعبيرِ بـ ﴿مِنْ﴾ في قولِه: ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾، وسِرُّ تَكَرُّرِها:

بيانُ جنسِ هذا النّازلِ، وأنّه من بعضِ جبالِ السّحابِ

﴿مِنَ﴾ الأولى في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لابتداء الغاية؛ أي: ابتداءُ نزولِ الماءِ منَ السَّحاب، و﴿مِن﴾ الثّانية في قوله تعالى: ﴿مِن جِبَالٍ﴾ للتَّبعيض؛ أيْ: هذا الماءُ النّازلُ منَ السَّحاب مِن بعض جبال الغُيوم فيها، و﴿مِنْ﴾ الثّالثة في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾ بيانيَّة؛ أيْ: جنس هذا النّازلِ من بعض جبال السَّحابِ هو بَرَد، والبَرَد هو قطرات الماء المُتجمّدة، وإنّ ورودَ حرفِ الجَرّ (مِن) ثلاثَ مرّاتٍ مُتجاورات في جملة قصيرة من روائعِ التَّعبير القرآنيّ، فالتّقدير

(1) الصّافي، الجدول في إعراب القرآن: 18/ 273.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 261.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5205.
(4) مكّي، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 8/ 5130.
(5) ابن عجيبة، البحر المديد: 5/ 85.

في الآية: يُنَزِّل منَ السَّماء من جبالٍ في السَّماء مِن بَرَدٍ ماء[1]، وفي هذا التّكرار بيانٌ لمصدريَّة النُّزول ومكانه، والحالةِ التي يكون عليها عند نزوله.

دلالةُ ذِكْرِ البَرَدِ دونَ الثَّلج:

كـونُ الـبَرَدِ مِمّا تـعـرِفُـه الـعـربُ لنزولِه بأرضها

ذَكَرَ القرآنُ الكريم البَرَدَ دونَ الثّلجِ في قوله: ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾؛ لأنَّهم كانوا يَعرِفونه، فخوطِبوا بما يعرِفون، وتَرَك ذِكرَ الثّلج، وهو أكثرُ نزولًا مِن البَرَدِ؛ لأنَّهم كانوا لا يعرِفونَه في بلادِهم[2]، ولأنّ البَرَد يُبَرّد وجهَ الأرضِ منَ السّخونة المعهودةِ في طبيعة المناطق الصّحراويّة؛ لذلك كان التّعبير به من بابِ إبرازِ مِنّةِ اللّهِ عليهم.

سِرُّ التّعبيرِ بالإصابةِ دونَ الإنزالِ:

الـدّلالـةُ عـلى حـلـولِ المَـكـروهِ بإصابتِهم، وما يـحـصُـل لـهـم منها بسببه

آثَرّ القرآنُ الكريمُ التّعبيرَ بالإصابةِ دونَ الإنزال في قوله تعالى: ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾؛ لأنّ الإصابة قد تكون بالخير، وقد تكون بغيره، فقد يكون المطرُ غيثًا فيه كرمٌ يُغاث فيه النّاسُ، وقد يكون مُدَمّرًا؛ لذلك كان التّعبيرُ بالإصابة هو الموافِقُ للسّياق؛ لأنَّ الإصابةَ إذا أُطلِقَت في كلامِهم دلَّتْ على أنَّها حُلولُ مَكروهٍ، ومِن ذلك سُمّيَتِ المُصيبةُ الحادثةَ المكروهةَ، فجعَلَ نُزولَ البرَدِ إصابةً؛ لأنَّه يُفسِدُ الزَّرعَ والثَّمرةَ[3] فيصيبُ به مَن يشاءُ في نفسه أو زَرْعه أو ثمره[4].

دلالةُ التَّعبير بقولِهِ: ﴿وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ﴾:

تأكيدُ ما يحدثُ مـنَ الـعـقـوبـةِ بسببِ البَرَدِ

عبَّر القرآنُ الكريم بقوله تعالى: ﴿وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ﴾؛ أيْ: يصرفُ شَرَّه[5]؛ فالصَّرف غالبًا ما يكون في صرفِ الأشياءِ الضّارّةِ، يُقال: صرفَ اللّهُ عنك السّوء؛ فيكون هذا تأكيدًا لما قبلَه،

(1) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 3/ 301، والمَظهريّ، التّفسير المَظهريّ: 6/ 545، والصّاوي، حاشية الصّاوي على الجلالَيْن: 3/ 46.
(2) مكّي، الهداية إلى بلوغ النِّهاية: 6/ 4062.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 262.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5205.
(5) الشّيخ علوان، الفواتح الإلهيّة: 2/ 13.

وتكون جملةُ ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ﴾ مَسوقةً لبيان العقوبة التي تَحدث بهذا البَرَد[1]، وفي ذلك توجيهُ النَّظَر إلى ناحيةٍ أُخرى من نواحي دلالة السّحابِ والظّواهرِ الجويّة التي تدلُّ على عَظَمَته سبحانه في توزيعها كما يشاء.

دلالةُ تعلّقِ الإصابةِ والصَّرفِ بالمشيئةِ:

الحوادثُ كلُّها مستندةٌ إلى إرادةِ اللهِ تعالى

دلَّ تعلّقُ الإصابةِ والصّرفِ بالمَشيئةِ في قولِه تعالى: ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ﴾ على إسنادِ الأمورِ كلّها إلى إرادته تعالى، وفي هذا دليلٌ على أنَّ الحوادثَ كلَّها مستندةٌ إلى إرادتِه تعالى[2].

عودُ الضَّميرِ في ﴿بِهِۦ﴾ و﴿وَيَصۡرِفُهُۥ﴾:

بيانُ مظاهرِ القُدْرةِ واللُّطفِ الإلهيّ

يعودُ الضّميرُ في قولِه تعالى: ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ﴾ على النّازلِ منَ السّماءِ مِن نَوعَي المطرِ والبَرَد، فيكونُ رحمةً بالبعض، ويَصرِفُه عن آخَرين حِكمةً وابتلاءً، ويكون المعنى: فيُصيبُ بالبَرَد مَن يشاءُ نِقْمَةً؛ لما فيه مِن نَثْرِ الثّمارِ وإتلافِ الزُّروعِ، ويصرِفُه عمَّن يشاء رحمةً بهم، وخلاصتُه: أنَّ الضَّمير إمّا للأقرب على الثّاني، أو له ولما قبلَه على الأوَّل[3]، وهذا مظهرٌ آخَرُ من مظاهرِ القُدْرة واللُّطف الإلهيّ[4].

دلالةُ حذفِ مُتعلّقِ المشيئةِ:

الاختصارُ للعِلْمِ بالمحذوفِ منَ السّياقِ

من إيجازِ الحذفِ في هاتيْن الجملتيْن ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ﴾ حذفُ متعلّقِ المشيئةِ بعد الفعلَيْن ﴿فَيُصِيبُ﴾، و﴿وَيَصۡرِفُهُۥ﴾، والتّقدير: يصيبُ به مَن يشاء أن يصيبَه به فيناله ما

(1) ابن عُثيْمين، تفسير سورة النّور، ص: 297.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 413.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 66، والقاسميّ، محاسن التَّأويل: 7/ 399.
(4) الجزائريّ، أيسر التّفاسير: 3/ 578.

يناله من ضَررٍ في نفسه وماله، ويصرفُه عمّن يشاء أن يصرفَه عنه فينجو من غائلته[1].

براعةُ التَّقسيمِ والطِّباقِ:

نـفـيُ ثـالـثٍ لـلـقِـسْـمـيْن المذكورين

في قوله تعالى: ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ﴾ حُسْنُ تقسيمٍ واستقصاءٍ للأقسام، إذ لا ثالثَ لهَذَيْن القِسْمَيْن المَذكوريْن، فلمّا كان المطرُ أقربَ إلى أن يكون ظاهرةَ رحمةٍ، والبَرَدُ أقربَ إلى أن يكون ظاهرةَ عذابٍ، معَ احتمال خِلافِ ذلك في كلٍّ منهما رَتَّبتِ الآيةُ على كُلٍّ منَ الإصابة والصّرف، رحمةً كان أو عذابًا، وهذا ما بيّنه وجلّاه وأكّده بطباقِ الإيجابِ، بين لفظتي الإصابة والصَّرف.

دلالةُ الجمعِ بين ذِكْرِ الماءِ والبَرَدِ النّازِلَيْن منَ السَّماءِ:

التَّنبيهُ على ما يَطمَعونَ فيه بالمَطَرِ، وعلى ما يخافونَ منه بالبَرَدِ

جمع القرآنُ الكريم بينَ ذِكْرِ الماءِ والبَرَدِ النّازِلَين منَ السّماء في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾؛ ليُنَبِّه خَلْقَه على ما فيه نفْعُهم؛ ليطمَعوا فيه، وعلى ما فيه هَلاكُهم؛ ليخافوا منه، فنَبَّهَ على ما يَطمَعونَ فيه بالمَطَرِ، ونَبَّهَ على ما يخافونَ منه بالبَرَدِ، وهو شَبيهٌ بقَولِه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢﴾ [الرّعد: 12].

نُكْتَةُ الجملةِ الوصفيّةِ:

تنبيهُ العقولِ إلى التَّدبُّرِ في هذه التَّغيُّراتِ

جملة ﴿يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ وصفٌ لـ (سحابًا)، وفائدةُ هذه الصِّفةِ تنبيهُ العقولِ إلى التَّدبُّر في هذه التَّغيُّرات، إذ كان شعورُ النّاسِ بحدوثِ البرقِ أوضحَ وأكثرَ من شعورِهم بتَكَوُّن السَّحابِ وتراكُمِه ونزولِ المطرِ والبَرَدِ، إذ قد يغفل النّاسُ عن ذلك؛ لكثرة حدوثِه وتَعوُّدِهم به، بخِلافِ اشتدادِ البرقِ فإنَّه لا يخلو أحدٌ

(1) المنصوريّ، المُقتطف: 3/ 526.

من أن يكون قد عرضَ له مرّاتٍ، فإنّ أصحابَ الأبصارِ التي حرّكها خفقُ البرقِ يتذكَّرون تلك الحالةَ العجيبةَ الدّالّةَ على القُدْرةِ، ولهذه النُّكْتَةِ خُصِّصَتْ هذه الحالةُ من أحوالِ البرقِ بالذِّكْرِ[1].

معنى ﴿يَكَادُ﴾ وموقعُها منَ الجملةِ الكريمةِ:

إثباتُ لمُقاربةِ ذهابِ البصرِ من شِدّةِ لمعانِ البَرقِ

اختُلِفَ في (كاد)؛ فقيل: هي كسائر الأفعال، نفيُها نفيٌ وإثباتُها إثباتٌ، وقيل عكسُه: نفيُها إثباتٌ وإثباتُها نفيٌ، فكاد زيدٌ يقوم؛ معناه: ما قام، ولم يَكد زيدٌ يقوم، معناه قام، والصَّحيح الأوَّل؛ لأنّ (كاد) معناها مُقاربةُ الفعل، فإذا دخل عليها نفيٌ انتفت مقاربةُ الفعل، فانتفاءُ نفسِ الفعل أَوْلَى إلّا بدليلٍ يُثبتُه، وفي الإثبات تثبتُ مُقاربةُ الفعل، ويبقى نفسُ الفعل على استصحاب النَّفي إلّا بدليلٍ يُثبته، فقولُنا: كاد زيدٌ يقوم؛ أيْ: قاربَ القيام، أمّا كونُه قامَ؛ فالأصل عدمُه إلّا أن يثبت بدليلٍ، وقولُنا: ما كاد زيدٌ يقوم؛ أيْ: ما قارب القيام، فانتفاء القيام بنفسه أَوْلى، إلّا أن يثبت بدليلٍ؛ فها هُنا في قوله: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ إثباتٌ لمقاربةِ ذهابِ البصرِ، فنَفْسُ ذهابِه على أصلِ العدمِ، ولا دليلَ على إثباتِهِ[2].

دلالةُ الإضافةِ في قولِهِ: ﴿سَنَا بَرْقِهِۦ﴾:

قولُه: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾؛ أيْ: ضَوءُ بَرقِ السَّحابِ، وإضافةُ البرْقِ إليه قبْلَ الإخبارِ بوُجودِه فيه؛ للإيذانِ بظُهورِ أمرِه، واستغنائِه عنِ التَّصريحِ به[3].

دلالةُ التّعبيرِ بالفعلِ المُضارعِ ﴿يَذْهَبُ﴾:

قولُه: ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾؛ أيْ: يخطَفُها مِن فرطِ الإضاءةِ وتَجدُّدِها، وسُرعةِ وُرودِها واستمرارِه[4].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 262.
(2) الطّوفيّ، الإشارات الإلهيّة، ص: 458.
(3) أبو السَّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 185.
(4) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 4/ 110، وأبو السَّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 185.

بلاغةُ استعارةِ لفظِ السَّنا لذي الإرادةِ والقوَّةِ:

المُبالغةُ في وصفِ السَّنا بالصَّفاءِ والعُلوِّ

أصل السَّنا الضَّوءُ واللّمعانُ، وبالمَدّ الرِّفعةُ والشَّرفُ، وفي جملة ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ استعارةٌ مكنيَّةٌ؛ حيثُ شَبّهَ سنا البرقِ بذي إرادةٍ وقوّةٍ، وحَذَف المُشَبَّه به، وذَكَر صِفَةً من صفاته، وهي القُدرة على أن يستلب الأبصارَ ويذهبَ بها، فلا جَرَم أنَّه كِنايةٌ عن قوَّة الضَّوء، وسِرُّ هذه الاستعارةِ: المُبالغةُ في وصفِ السَّنا بالصَّفاءِ والعُلوِّ وقوَّةِ اللَّمعانِ، فشَبَّه المحسوسَ منَ البرقِ لارتفاعِهِ في الهواءِ بغير المحسوسِ منَ الإنسانِ[1].

دلالةُ إطلاقِ الأبصارِ:

مزيدُ تهويلٍ لأمرِ البرقِ وشِدَّةِ ضوئِهِ

في إطلاقِ الأبصارِ مَزيدُ تَهويلٍ لأمرِه، وبَيانٌ لشِدَّةِ تأثيرِه فيها، كأنَّه يكادُ يذهَبُ بها ولو عندَ الإغماضِ، وهذا من أقوى الدَّلائلِ على كَمالِ القُدرةِ من حيثُ إنَّه تَوليدٌ للضِّدِّ منَ الضِّدِّ[2].

فنُّ العُنوانِ في الآية الكريمة:

الآيةُ عنوانٌ للعِلْمِ المعروفِ بالآثارِ العُلْويَّةِ والجغرافيا الرّياضيّةِ وعِلْمِ الفَلَكِ

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ الآية، فنٌّ انفردَ بهِ القليلُ من علماء البيان، وهو فنُّ العُنوان، وعرَّفوه: بأن يأخذ المُتكلِّمُ في غرضٍ له من وصفٍ أو فخرٍ أو مدحٍ أو عتابٍ أو هجاءٍ، أو غيرِ ذلك منَ الفنون، ثمّ يأتي لقصد تكميلِه وتوكيده بأمثلةٍ من ألفاظٍ تكونُ عنواناتٍ لأخبارٍ مُتقدِّمةٍ وقصصٍ سالفةٍ، ومنه نوعٌ عظيمٌ جِدًّا، وهو ما يكون عنوانًا للعلوم، وذلك أن تَذْكُر في الكلام ألفاظًا تكون مفاتيحَ لعلومٍ ومداخلَ لها، والآيةُ التي نحن بصددها فيها عنوانُ العِلْمِ المعروفِ بالآثار العُلْوِيَّة والجغرافيا الرّياضيّة وعِلْمِ الفَلَكِ[3].

(1) أبو حيّان، البحر المُحيط: 8/ 58، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 413.
(2) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 4/ 110، وأبو السَّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 185.
(3) الصّافي، الجدول في إعراب القرآن: 18/ 273.

توجيهُ المُتشابهِ اللّفظيِّ:

تشابهت هذه الآيةُ الكريمةُ مع قولِهِ تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [البقرة: 20]، وبإنعام النّظر فيهما نجد بينهما فرقًا؛ فآية سورة النّور هي في مقام الاعتبار، وآية البقرة في مقام التَّهديد؛ ولذلك وُجِدَ اختلافٌ في تركيب ألفاظ الآيتيْن، وإن كان المعنى بينهما مُتقاربًا؛ فقولُه تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾، هو كقولِه في سورةِ البقرةِ: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [البقرة: 20]، سِوى أنَّ هذه الآيةَ زيدَ فيها لفْظُ ﴿سَنَا﴾؛ لأنَّ هذه الآيةَ واردةٌ في مَقامِ الاعتبارِ بتكوينِ السَّحابِ وإنْزالِ الغَيثِ؛ فكان المَقامُ مُقْتضيًا للتَّنويهِ بهذا البرْقِ وشِدَّةِ ضيائِه؛ حتَّى يكونَ الاعتبارُ بأمريْنِ: بتكوينِ البرْقِ في السَّحابِ، وبقوَّةِ ضيائِه حتَّى يَكاد يَذهَبُ بالأبصارِ، وآيةُ سورة البقرةِ واردةٌ في مَقامِ التَّهديدِ والتَّشويهِ لحالِهم، حين كانوا مُظهرينَ الإسلامَ ومُنطَوينَ على الكُفرِ والجُحودِ؛ فكانتْ حالُهم كحالةِ الغَيثِ المُشتمِلِ على صَواعِقَ ورعْدٍ وبرْقٍ؛ فظاهِرُه مَنفعةٌ، وفي باطنِه قوارعُ ومَصائبُ.

وممّا يُذْكَر في التّشابه بينهما أنَّ التَّعبير في هذه الآية ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾، وهنالك بقولِه: ﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [البقرة: 20]؛ لأنَّ في الخَطْفِ مِن معنى النِّكايةِ بهم، والتَّسلُّطِ عليهم ما ليس في (يَذهَبُ)؛ إذ هو مُجرَّدُ الاستلابِ.

وممّا يُذكر أيضًا: أنّ التَّعبير هنا ﴿بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ مُعرَّف باللّام؛ بخلافِ آيةِ (البقرةِ) ﴿أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [البقرة: 20]؛ فجاء معرّفًا بالإضافة؛ لأنَّ المقصودَ أنَّ البرْقَ مُقاربٌ أنْ يُزيلَ طائفةً مِن جِنسِ الأبصارِ؛ فالحُكْمُ على حالةِ البرْقِ الشَّديدِ مِن حيثُ هي، بخلافِ موضع (البقرةِ) فإنَّه في مَقامِ التَّوبيخِ لهم، بأنَّ ما شأْنُه أنْ يَنتفعَ النّاسُ به قد أشرَفَ على الضُّرِّ بهم؛ فلذلك ذُكِرَ لفْظُ (أبصار) مُضافًا إلى ضَميرِهم، مع ما في هذا التَّخالُفِ مِن تفْنينِ الكلامِ الواحدِ على أفانينَ مُختلفةٍ؛ حتَّى لا يكونَ الكلامُ مُعادًا، وإنْ كان المَعنى مُتَّحِدًا، ولا تجدُ حَقَّ الإيجازِ فائتًا؛ فإنَّ هَذَيْنِ الكلامَيْنِ في حَدِّ التَّساوي في الحُروفِ والنُّطقِ، وهكذا نَرى بلاغةَ القُرآنِ وإعجازَهُ وحلاوةَ نظْمِه[1].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 263.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإنزال والتَّنزيل:

الإنزالُ دَفْعيٌّ وهو أعمُّ، والتَّنزيلُ تدريجيٌّ وهو أخصُّ

الإنزالُ على ما يكون دفعةً واحدة[1]، ويُطْلَق التَّنزيل على ما يكون مُفرَّقًا أو تدريجيًّا، فالإنزال دَفْعيٌّ، والتَّنزيلُ تدريجيٌّ، قال الله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾ [آل عمران: 3]؛ وهذا لأنّ حُكْمَ القرآن الكريم مؤبَّدٌ، وهو مناسبٌ لـ ﴿نَزَّلَ﴾ [آل عمران: 3]؛ فإنَّه بِناءٌ لِلمبالغة، ولِما في التَّنزيل مِن معنَى التَّدريج، فبينَ الإنزالِ والتَّنزيل عمومٌ وخصوصٌ، والإنزالُ أَعَمُّ مِنْهُ؛ لأنّه قد يدلُّ على معنى التَّدْريج وقد لا يدلُّ[2]، ولا يُشكِلُ على هذا الفَرْقِ وقوعُ التَّعبيرِ عَنِ نزول القُرآن الكريم بالفِعْلَيْنِ معًا؛ وذلك لأنَّ لِلْقُرْآنِ الكريمِ نُزولَيْنِ، دَفْعيٌّ إلى السَّماءِ الدُّنيا، وتدريجيٌّ بحسب الوقائع والأحداث[3].

(1) السَّمين الحلبيّ، عُمدة الحُفّاظ: (نزل)، والعسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 79، والجُرجانيّ، التَّعريفات، ص: 68، والشِّهاب الخفاجيّ، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 1/ 3.

(2) الرّاغب، المُفردات: (نزل).

(3) المقدسيُّ، المُرشِد الوَجيزُ، ص: 17، والسّيوطيّ، الإتقان: 1/ 146.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والثلاثون،
سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 37 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 37 : المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-79-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8644972 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»